يصف فيها صاحبته وصفاً حِسّيا ، فهو يشبّهها بِظَبْيٍ جميل العينين ، رَخيم الصَّوْت ، ولا يرى بأساً ، وهو في حضرة الرّسول ﷺ ، في أن يتحدّث عن ثغرها الذي يبدو ، في عذوبة ابتسامته وجمال ثناياه وطيب رائحته ، كأنه قد سُقِيَ بخمر ممزوجة بماء صافٍ نقيّ ، ويصل ذلك بالحديث عن هذه الصّاحبة التي لا تعطي وعداً إلا أخلفته ، ولا تُطْمِعُ مُحِبَّها في وَصْل إلا كذّبت ظنّه وخيّبَت أمله ، فهو لا يتمسّك من وصلها إلا بحبل واهٍ رَثٍّ . ويدلُّ تقبُّلُ الرّسول لهذه القصيدة بمثل هذه المقدّمة الغزليّة ، بل وإثابته صاحبَها ، على سماحته ، ورَهافَةِ حِسّه ، وتذوّقه للشّعر ، واحترامه لتلك التّقاليد الفنّيّة التي جرى عليها الشّعراء فيما ينظمون من شعر حتى أصبحت من معالمه الرّاسِخَة .

وينتقل الشّاعر بعد هذه المقدّمة الغَزَليّة إلى مقدّمة أخرى تقليديّة أيضاً في وصف النّاقة ، وهي تقع في عشرين بيتاً ، وفي ثنايا هذا الوصف نجد تصويراً رائعاً للصّحراء في ساعة الهَجير عند اشتداد الحرارة ، ولحركة النّاقة الدّائِبَة في ذلك القَيْظِ المُهْلِك . وهذه المقدمة – وإن بدت استطراداً لا عَلاقةَ له بموضوع القصيدة الأساسيّ – لا تخلو من إيحاءات لها دلالتُها ، فكأن الشّاعر يريد أن يصوّر عذابه وهو يُغِذُّ السَّيْرَ في هذه الصّحراء المُحْرِقة باحثاً عن النّجاة ، بعد أن بلغه وعيدُ الرّسول له ، وتشبيهاته لذلك ذات صِبْغَة قاتمة ، مُنْذِرَة بسوء المصير . فهو يصوّر لنا قِمَم الجبال النّخِرة السّوداء وقد علاها السّراب ، وقد الْتَظَت الصّحراء بلهيب الهَجير ، وقد تقافَزَت على الرّمال الحارقة جَنادِبُ رماديّة اللون ، وحادي الإبل ينصح الرّكْبَ بأن يركنوا إلى شيء من الرّاحة ، ويبحثوا عن ظلٍّ يقيهم حرارة الظّهيرة ، غيرَ أن ناقته ماضية في سيرها السّريع ، وكأن قوائمها في حركتها السّريعة المتلاحِقة ذراعا امرأةٍ مات لها زوجٌ أو ولدٌ حبيب ؛ فهي ذاهلة العقل لا تكفُّ عن لطم وجهها وتقليب يديها ، ومن حولها نساء يشاركْنها في مصيبتها فهنّ لا يَفْتَأن يندُبن